الأمة الوسط

والقائمون بالشهادة على الناس

بقلم

أ.د. أحمد محمد العسال

الطبعة الأولى للناشر

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

العسال - أحمد محمد

الأمة الوسط والقائمون بالشهادة على الناس / بقلم أحمد محمد العسال .-ط١.- القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٦.

٤٨ صفحة؛ ٢٤سم.

تدمك: 3 - 702 - 265 - 977

١- الإسلام - دعوة. ٢- الأخلاق الإسلامية. ٣- انتشار الإسلام.

أ- العنوان. ديوى: ٢١٣

رقم الإيداع: ٢٠٠٦/٥٣٦٥

الترقيم الدولى: I.S.B.N

977 - 265 - 702 - 3

دار التوزيع والنشر الإسلامية

مصر - القاهرة - السيدة زينب ص. ب: ١٦٣٦

٢٥١ ش بورسعيد ت: ٣٩٠٠٥٧٢ - فاكس: ٣٩٢١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت: ٣٩١١٩٦١

www.eldaawa.com

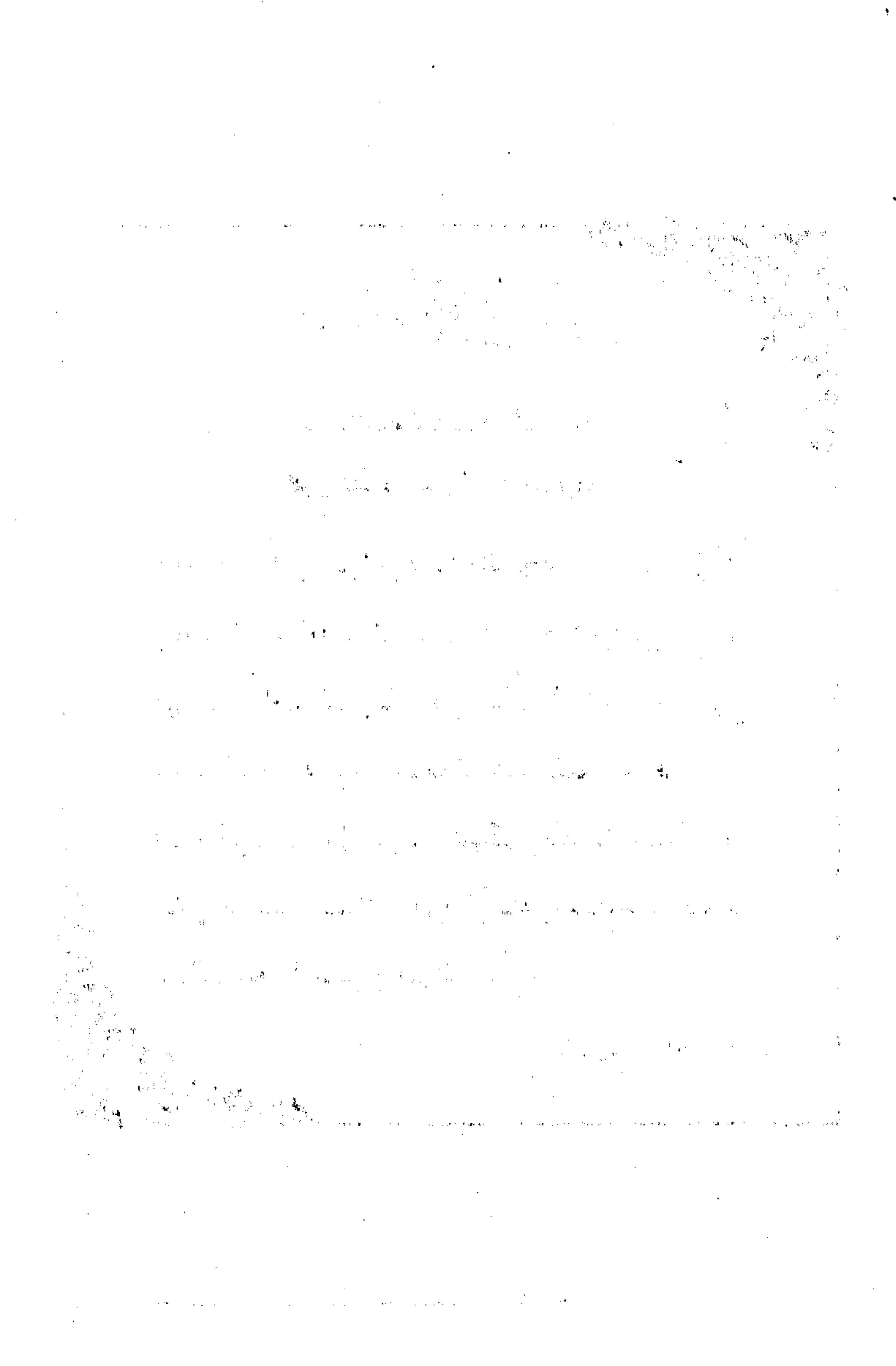
email:info@eldaawa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نداء الله لعباده المؤمنين في الذكر الحكيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾

[الحج: ٧٧، ٧٨]



تقديم

فى صيف أحد الأعوام راعنى وأقلقنى حال هذه الأمة، فقد شُغلت لمدة ليست بالقليلة بموضوع حوار الحضارات واطلعت من خلال إعداده على ما يبيت للأمة من مكر ومن تخطيط لإفشال صحوتها ولمواجهة يقظتها، ثم انكشف الغطاء ونقلت الوكالات الأنباء، ووصف المسلمون بالأصولية، واستعداء القوى المختلفة لمحاربة الصحوة وتحجيمها، سواء فى ذلك سكرتير حلف الناتو أو وزير خارجية كل من ألمانيا وإيطاليا.

ووصل الوهن إلى بعض أبناء جلدتنا فكتب أحدهم فى صحيفة سيارة: لابد من تجفيف ينابيع الإسلام، وقال آخر: «ليس فى الإسلام تطرف واعتدال، ولكن الإسلام كله تطرف». ومضت هذه الشريحة من الأمة لتذيع السموم وتنشر الأراجيف حول الإسلام وأمته ودعوته. وفى المقابل راعنى أيضًا ما جرى عليه فصيل من أبناء الصحوة الإسلامية فى مجاوزة حدود المحكم من شرع الله، والمحكم من مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن

المنكر، ومن أن الصبر على أئمة الجور هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأن فتنة الخروج كلفت الأمة كثيرًا، وأن سلفنا -رضوان الله عليهم- قالوا: «البلاغ غاية والتمكين وسيلة» وأن جهاد السيف والحكم في الدماء والأموال والأعراض لا يكون إلا لمن له الولاية العامة، إلى آخر ما هنالك من أصول وقواعد.

وبينما كنت في هذه الحالة النفسية والفكرية لجأت إلى كتاب الله -عز وجل- ألتمس فيه شفاءً لصدري، ونورًا لعقلي، وهداية لقلبي وأمتي، على حد قول النبي الكريم محمد ﷺ حينما قال: «ستكون فتن». قالوا: فما المخرج منها يا رسول الله؟ فقال: «عليكم بكتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم.... الخ»[1]، فإذا بي أجد هذه الآية الكريمة من سورة البقرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً

(١) رواه أبو داود.

إلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فيممت وجهى إلى كتب المعاجم وكتب التفسير فكانت هذه الرسالة التى أسأل الله -عز وجل- أن تكون علمًا نافعًا، وبيانًا شافيًا، وبلاغًا مؤثرًا، وزادًا مبصرًا، وتذكرة وهدى لقارئها وسامعها ومبلغها إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العبد الفقير إلى مولاه

أحمد العسال

القاهرة فى غرة ذى القعدة ١٤٢٦هـ

ديسمبر ٢٠٠٥م

كيف جاء سياق الأمة الوسط

لقد جاءت الآية (آية الوسطية) فى سياق الحديث عن أهل الكتاب وعن بنى إسرائيل تتكلم بعد قصة سيدنا آدم -عليه السلام- وعن بنى إسرائيل، فيقول الله -عز وجل-: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، ثم عطف الله -عز وجل- باسم الإشارة على جملة «يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» ببيان حقيقة هذه الأمة ومكانتها بين العالمين ورسالتها للناس أجمعين بهذه الآية الفذة الجامعة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ويعود السياق إلى حقيقة تحويل القبلة فيقول عز من قائل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فمـا أشبه الليلة بالبارحة، فـإذا كانت الآية بالأمس البعيد تتحدث عن سفاهة بنى إسرائيل واستكبارهم فى عدم الإيمان برسول الله وقد جاءهم صفته ونعته كما قال الله: ﴿..الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].. واجتمعت سفاهة هؤلاء مع سفاهة المشركين والمنافقين، فقد تعجبوا جميعًا من تحويل القبلة بعد ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا من مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقد كان يتوجه فى الصلاة إلى صخرة بيت المقدس.. ثم أمره الله -عز وجل- بالتوجه إلى الكعبة.. وكان الرد حاسمًا أن المشرق والمغرب لله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. وأن الصراط المستقيم هو أن توجد الأمة الوسط لتحمل أمانة الرسالة ومسئولية الدعوة الخاتمة، ولا تستطيع ذلك إلا أن تتصف بالوسطية، وهذا يظهر إعجاز الوحى فى اختيار الكلمة الدالة.. التى بها كلام قد يؤم، وما أجمل التحليل اللغوى لهذه الكلمة، قال فى اللسان: الوسط يقال فيما له طرفان مذمومان، يقال: هذا أوسطهم حسبًا، إذا كان فى

واسطة قومه وأرفعهم محلاً، وكالجود الذى هو بين البخل والسرف، فيستعمل استعمال القصد المصون من الإفراط والتفريط، فيحدث به نحو السواء والعدل والنصفة، وأوسط الشىء: أفضله وخياره كوسط المرعى من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكين الراكب، ولهذا قال الراجز:

إذا ركبت فاجعلانى وسطًا

ومنه الحديث: «خير الأمور أوساطها»، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، أى: على شك، فهو على طرف من دينه، غير متوسط فيه ولا متمكن. فلما كان وسط الشىء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك فى مثل قوله -تعالى وتقدس-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، أى: عدلاً، فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه، وأنه اسم لما بين طرفى الشىء قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا أنزلت إحدى الليالى بمعظم

وقال آخر:

لا تذهبن في الأمور فرطًا

لا تسألني إذا سألت شططا

وكن من الناس جميعًا وسطًا

قال الزجاج: في الوسط قولان: قال بعضهم: وسطًا: عدلاً، وقال بعضهم: خيارًا. واللفظان مختلفان والمعنى واحد؛ لأن العدل الخير، والخير عدل. قال ابن جرير في تفسيره: «هم أهل توسط واعتدال في الدين، فلم يغلوا يتطرفوا كالنصارى الذين غلوا بالترهب وقالوا في عيسى ما قالوا، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءه وكذبوا على ربهم وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه فوصفهم الله بذلك إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها».

وقد جاء في معناه: أن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم.

قال الأستاذ الإمام: ولكن يقال: لِمَ اختير لفظ الوسط على لفظ الخيار مع أن هذا هو المقصود والأول إنما يدل عليه بالالتزام؟

والجواب من وجهين: «أحدهما» أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتى، فإن الشاهد على الشىء لابد أن يكون عارفًا به، ومن كان متوسطًا بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من الجانب الآخر، وأما من كان من أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضًا.

«وثانيهما» أن فى لفظ الوسط إشعارًا بالسببية فكأنه دليل على نفسه، أى: أن المسلمين خيار وعدول؛ لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو فى الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرّطين، فهم كذلك فى العقائد والأخلاق والأعمال.

ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين:

قسم تقضى عليه تقاليده بالمادية المحضه، فلا همَّ له إلا الحظوظ الجسدية كاليهود والمشركين، وقسم تحكم عليه تقاليده بالروحانية الخالصة وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثنيي الهند أصحاب الرياضيات.

أما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها فى دينها الحقين: حق الروح، وحق الجسد، فهى روحانية جسمانية، وإن شئت

قلت: إنه أعطاها جميع الحقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكأنه قال: جعلناكم أمة وسطًا تعرفون الحقين، وتبلغون الكمالين «لتكونوا شهداء» بالحق «على الناس» الجسمانيين بما فرطوا فى جنب الدين، والروحانيين إذ أفرطوا وكانوا من الغالين(١).

والتطرف مرتبط بالعنت والضيق، بينما الإسلام يسر وسماحة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك أهل السنة فى الإسلام متوسطون فى جميع الأمور ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. وقصة أصحاب الرهط عن أنس -رضى الله عنه- قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ فسألوا عن عبادته، فلما

(١) تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ص (٤، ٥)، ط دار المعرفة ببيروت.

أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟! فقال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»**(١).

وقد عنون الإمام البخارى فى صحيحه محددًا بابًا فى أن الدين يسر. وقول النبى ﷺ: **«أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»**. عن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى ﷺ: **«إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»**(٢).

ومتوسطون فى الأخلاق، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ويقول للمؤمنين: **﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا**

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخارى.

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. ويقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وعن جابر -رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وإن وأبعدكم منى يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون».

قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون»(١). قال فى منهاج الصالحين:

«الثرثار»: هو كثير الكلام تكلفًا، و«المتشدق»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه، و«المتفيهق»: أصله من الفَهق، وهو الامتلاء، وهو الذى يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويغرب به؛ تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا لفضله على غيره(٢).

(١) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٢) منهاج الصالحين: ص (١٩٩).

وروى الترمذى عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- فى تفسير حسن الخلق قال: هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى[(١)].

ومتوسطون فى الحرب، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤]. وكان ﷺ إذا بعث سرية قال: «**باسم الله وبالله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تختلفوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا شيخًا كبيرًا**»[(٢)].

القائمون بالشهادة على الناس:

احتفى القرآن الكريم بكلمة الشهادة، وقد جاءت فى سياقات كثيرة متعددة، وسنتحدث عنها بما يبين معالمها ويوضح المقصود منها.

---

(١) منهاج الصالحين، ص (١٩٩)، ط دار الفتح: بيروت.

(٢) أخرجه أبو داود والطبرانى.

قال فى اللسان(١): «من أسماء الله -عز وجل-: الشهيد. قال أبو إسحاق: الشهيد من أسماء الله الأمين فى شهادته. قال: وقيل: الشهيد: الذى لا يغيب عن علمه شىء، والشهيد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة فى فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة، وقال أبو بكر ابن الأنبارى فى قولة المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله: أعلم أن لا إله إلا الله، وأبين أن لا إله إلا الله، وقوله: أشهد أن محمدًا رسول الله: أعلم وأبين أن محمدًا رسول الله. وقوله -عز وجل-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، علم الله بين، فالله قد دل على توحيده بجميع ما خلق، وشهدت الملائكة لما عاينت من عظيم قدرته، وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذى لا يقدر عليه غيره، وأول القائمين بالشهادة على البشرية هم الأنبياء -عليهم السلام- بما أوحى الله إليهم من رسالات، وبما بلغوا

(١) لسان العرب (٤/ ٢٣٤٨) ط دار المعارف.

أقوامهم. قال الله -على لسان عيسى ابن مريم -عليهما السلام-: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]، ثم كان خاتمهم محمد ﷺ شاهدًا على أمته، وأخذ الله الميثاق على الأنبياء جميعًا أن يؤمنوا به وينصروه، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]، قال الشيخ رشيد -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]: أي: أن الرسول ﷺ هو المثال الأكمل لمرتبة الوسط، وأن تكون هذه الأمة وسطًا باتباعها له في سيرته وشريعته، وهو القاضي بين الناس فيمن اتبع سنته ومن ابتدع تقاليد أخرى أو حذا حذو المبتدعين»(١).

(١) تفسير المنار (٢/ ٥).

وأمة الإسلام كلها قائمة بالشهادة على الناس، كل بقدر حظه من الفهم ومن التأسى برسول الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وروى البخارى: «أنتم شهداء الله فى الأرض»، وأخرج الترمذى عن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أعطيت أمتى ثلاثًا لم تعط إلا للأنبياء: كان الله إذا بعث نبياً قال له: ادعنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وكان الله إذا بعث النبى قال له: ما جعل عليك فى الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وكان الله إذا بعث نبياً جعله شهيداً على قومه، وجعل هذه الأمة شاهدة على الناس**».

أول القائمين بالشهادة طلبة العلم:

أول القائمين بالشهادة على الناس من هذه الأمة: طلبة العلم الذين شملهم الله -عز وجل- مع أنبيائه فى قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]،

فهم ورثة الأنبياء، فإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر[1].

وقد جعلهم الله أهلاً لأن يعقلوا عنه ويعرفوا مراده: ﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأهلاً للإخبات والهداية والخشية ومعرفة الحق ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٤]، ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦].

المفردات:

المخبتين: المتواضعين، نحو ﴿ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] وقوله تعالى: ﴿ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٥٤] أي: تلين وتخشع[2]. وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى

(١) رواه أبو داود والترمذي.

(٢) مفردات القرآن للراغب، ص (١٤١) ط دار المعرفة- بيروت.

كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه فى دين الله، ونفعه ما بعثنى الله به، فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به»(١).

ومن هنا فإن أول ما يتمحض ويتجرد له طالب العلم إخلاص النية، وحسن السعى، ومعرفة الوسائل التى يكتسب بها العلم، ويعرف أن لكل علم منهاجه، فمثلاً لا يمكن أن يدخل إلى رحاب القرآن الكريم إلا بمعرفة اللغة العربية أدبًا وشعرًا، ويحسن تلاوته ويتعلم كيف يتدبره، ثم يسعى إلى العلماء الراسخين ليأخذ عنهم ويدخل إلى مكتبة القرآن فيعرف أنواع التفسير.. التفسير بالمأثور وتفسير آيات الأحكام... إلخ. وهكذا فى كل علم، وأهم شىء أن يعنى بنفسه فيزكيها ويصقلها بالعبادة الخالصة والاتباع لأسوتنا وقدوتنا ومعلمنا ورسولنا الكريم محمد ﷺ، ولينصت إلى الإمام الشافعى -رضى الله عنه- وهو يقول:

(١) متفق عليه.

شكوت إلى وكيع سوء حفظى

فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأعلمنى بأن العلم نور

ونور الله لا يهدى لعاصى

وليتذكر أن طالبًا من طلاب العلم زار الإمام أحمد -رضى الله عنه- وبات عنده، فأدخله حجرة لينام فيها، وترك عنده دلوًا من الماء ليستعمله وقت ما يريد، فلما جاء وقت الصبح ذهب ليوقظه فوجد الماء عنده كما تركه، فقال متعجبًا: طالب علم ليس له حظ من قيام الليل!! وصدق الله العظيم: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: ٩].

ولذا قال معاذ بن جبل -رضى الله عنه-: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبل أهل الجنة، وهو

الأنيس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلام على الأعداء، والزين عند الأخلاء، ويرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة وأئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بفاعلهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فى خلتهم، وبأجنحتها تمسهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصابيح الأبصار من الظلام يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، التفكر فيه يعدل الصيام، ومدارسته تعدل القيام، به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء»[1].

ومن هنا فعلى طالب العلم أن يدرك أن الرحلة فى هذه الحياة تتطلب التزود الدائم من زادى التقوى والعلم، وهما الأمران اللذان عايشهما قدوتنا وأسوتنا ومعلمنا رسولنا محمد ﷺ مع البلاغ والجهاد فى سبيل الله؛ فقد كان يقوم من الليل

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله.

حتى تتورم قدماه، وحينما يقولون له: لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر!! فيرد عليهم قائلاً: «أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!!». وما ترك ﷺ قيام الليل فى حضر ولا سفر، طاعة وامتثالاً لقول الله -عز جل-: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ١- ٦].

وأن يكون من المسارعين فى فعل الخيرات، وتحصيل كل ما يمكن من الطاعات؛ ليكون اقتداؤه بكل رسل الله وأنبيائه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

وأن يتذكر أن لباس التقوى لا يخلع أبدًا، فهو ملازم للمؤمن فى الخلوة، والجلوة والسريرة والعلانية، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ لصاحبه معاذ -رضى الله عنه-: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[1].

(١) رواه أبو داود.

والتقوى والتزود من ينابيعها المتعددة، من العبادة الخاشعة إلى فعل الخيرات، ومن بذل المعروف إلى الذكر الدائم، والسعى الدائب لمرضاة الله ستورث طالب العلم الخشية من ربه، وحضوره الدائم فى نفسه، وهنا يكون قد حقق فى نفسه علم القلب الذى هو العلم النافع، والذى قصده الإمام مالك بقوله: كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً، وما قصده القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وتتحقق له البشرى التى أعدها الله لعباده المتقين حينما قال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

زاد العلم:

ونقصد بالعلم الوصول إلى درجة الخيرية التى قال عنها رسولنا ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين» والتى عناها الحق -سبحانه وتعالى- حين جعلها كالنفرة فى سبيل الله

فقال: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وهذا يقتضى أن يحيط بالإسلام كله: كلياته وفروعه، ومحكماته ومتشابهاته، فقد قال سلفنا الصالح: «إن هذا الدين لا يصلح له إلا من أحاطه».

وقد ظل الوحى غداء رواحًا على رسولنا ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا يعلمه الكتاب والحكمة، ويهديه إلى الأركان والفرائض والمندوبات، والحلال والحرام، حتى كمل الدين وتم ونزل عليه فى حجة الوداع قول الله -عز وجل-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وكان مما خطب به النبى ﷺ فى هذا الموقف أن قال: «فإنى تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد»(١).

ومن هنا فالتعصب لأى مذهب، والعلم فى دائرة التقليد مذمومان: قال الشافعى -قدس الله تعالى روحه-: أجمع

(١) منهاج الصالحين: ٨٨٣.

المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. قال أبو عمر وغيره من العلماء: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودًا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وهذا كما قال أبو عمر -رحمه الله تعالى-؛ فإن الناس لا يختلفون فى أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد. فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمقلد الأعمى عن زمرة العلماء[1]، ولذا قيل: من قصد البحر استقل السواقيا.

ومما لا يتم الواجب إلا به فى مرحلة التأهيل لطالب العلم الداعية إلى الله: معرفة التاريخ وواقع الأمة؛ ذلك أن التاريخ يريك الصورة الكاملة لسنة الله -عز وجل- التى أقام عليها حياة الأمم، وهى الصراع بين الحق والباطل يقول الله -عز وجل-: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].

(١) إعلام الموقعين: (١/ ٧).

وهى سنة التدافع التى قال عنها ربنا: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وبين ضرورتها بقوله: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

ولذلك قص القرآن قصص الأنبياء والمرسلين وما حدث بينهم وبين أقوامهم وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١] وبيّن لنا ما واجهه خاتمهم محمد ﷺ منذ وقف على الصفا يدعو قريشًا وقبائل العرب إلى الإسلام من عنت واضطهاد، حتى اضطر إلى أن يأذن لأصحابه فى أن يهاجروا إلى الحبشة مرتين، ويقاطعه قومه ويحاصرونه فى شعب بنى هاشم ثلاث سنوات، حتى جف لبن المرضعة فلا تستطيع إرضاع وليدها.

ويقول سيدنا سعد بن أبى وقاص: لم يكن لنا طعام إلا ورق شجر الحبلة، وكنا نأكله فتتشدق شفاهنا، ثم كانت الهجرة إلى المدينة لتبدأ مرحلة الغزوات إلى أن يتم فتح مكة ويدخل رسول الله البيت الحرام ويكسر الأصنام بيده الشريفة ويقول: **«جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»**. ثم كانت غزوة تبوك ليرى الروم من نفسه قوة، ولحق بالرفيق الأعلى وجيش أسامة مرابط فى السنح بالمدينة المنورة ليبعثه إلى الروم.

وتابع أصحابه رضوان الله عليهم الغزوات لتنتهى دولة الروم بفتح القدس والشام، والدولة الفارسية بالانتصار فى القادسية ونهاوند، وتأتى إلى أمير المؤمنين عمر -رضى الله عنه- أسورة كسرى تحقيقًا لنبوءة رسول الله ﷺ فى الهجرة وغزوة الأحزاب وهو يحفر الخندق.

وتمضى رايات الإسلام شرقًا وغربًا، ويدخل الناس فى دين الله أفواجًا، ويتعاقب الخلفاء لإقامة دين الله، وتستظل أمة الإسلام بشريعة الله، حتى قال الخليفة هارون الرشيد يومًا وهو ينظر إلى السحابة: أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك. ثم يحدث الضعف وتأتى الدويلات القطرية حتى تبتلى الأمة

بحمـلات الصليبـيين التى قـادها ملوك أوروبا وباباواتهم والتى خاضت فيها خيـولهم فى دماء المسلمين بشوارع بيت المقدس، وظل الاحتلال مـائتى عام، حتى قبض الله -عـز وجل- عماد الدين زنكى ومن بعده نور الدين، إلى أن يتـولى صلاح الدين الأيوبى (٥٣٢ - ٥٨٩هـ)، (١١٣٧ - ١١٩٣م) أمـور مـصـر فيقـيم فيها شـرع الله ودينه، ويرتب أمورها، ويخرج بجيـشها وجندها إلى عـسقلان ويظل يقـاتل الصليبـيين عـشر سنين لا يفارق جنوده، حتى يتم الله على يديه دخول القدس، فيدخلها متواضعًا شاكرًا لله، كما دخل رسول الله ﷺ مكة.

ثم تبتلى الأمة بعد ذلك بغزو التتار واجتياحهم لبغداد وإلقائهم كنوز المكتبات الإسـلامية فى نهر الفرات حتى اسـودت مياهه من ذخـائر العلوم والحـضارة الإسـلامـيـة، وظلوا يجتـاحـون المدن الإسلامـية حتى احـتلوا دمشق وهددوا مصـر، فواجهـهم سيف الدين قطز بن عـبدالله المعزى (٦٥٨هـ ١٢٦٠م) والتـحم بهم فى «عـين جـالـوت» وصـرخ صـرختـه المدوية فى جـنده قـائلاً: «واإسلاماه» فهزمهم وطارد فلولهم، وهيأ الله بعد ذلك بنى عثمان ليقيموا دولة الخلافة الإسلامـية، ويفتح الله على يد محمد الفاتح

القسطنطينية عاصمة الدولة الرومانية الشرقية في ٢٩ مايو ١٤٥٣م ويغير اسمها إلى: استامبول، ومعناها بالتركية: دار الإسلام.

ثم يتآمر الغرب بقيادة انجلترا وفرنسا مع تحالف روسيا على دولة الخلافة، ويحاصرونها، وتقتطع فرنسا الجزائر ١٨٣٠م، وانجلترا مصر ١٨٨٢م، وتعلن الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م وتعمل اتفاقية سايكس بيكو أثناء الحرب لتقسم أقطار العالم العربي بين انجلترا وفرنسا، ويصدر وعد «بلفور» وزير خارجية انجلترا بالوطن القومي لليهود، وتنتهي الحرب لتكون مصر تحت الحماية البريطانية، وفلسطين تحت الانتداب البريطاني؛ ليفتح باب الهجرة لليهود من سنة ١٩١٩م، ولم يكن لليهود وجود قبل ذلك إلا في حدود ١٪.

ثم تغذى فكرة الوطنية والقومية؛ لتكون بديلاً عن الإسلام، فينادي مصطفى كمال أتاتورك بالطورانية، وينفذ المخطط الغربي فيصدر في سنة ١٩٢٤م مراسيم إلغاء الخلافة، وإلغاء الشريعة الإسلامية، وإلغاء العمامة ولبس القبعة، واستيراد قانون الأحوال الشخصية من سويسرا، وإلغاء الأذان بالعربية، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في اللغة التركية

وإحلالها محلها، وتدخل الأمة من أقصاها إلى أقصاها فى هذا الخضم الموحل، ويظل الغرب الأوربى، والشرق الاشتراكى بزعامة روسيا يعملان فى ديار الإسلام بخطط لإبعاد الأمة عن دينها، وإحلال المذهبيات الأخرى محل الإسلام على تفصيل فى كل مناحى الحياة.

ويعزز هذا الواقع الذى نعيشه الآن، من وجود نُخب مثقفة وحاكمة لا تؤمن بشرع الله -وإن انتسبت ظاهرياً لدين الله أو سمَّت بأسماء إسلامية-، فهم يحاكون المنافقين القدامى الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ والذين عناهم القرآن الكريم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا (٦٣) وَمَا أَرْسَلْنَا

مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٠-٦٥].

وها نحن نواجه هذا الواقع المر فيحاصَر العمل الإسلامى فى ديار الإسلام، ويصل الأمر إلى بيوت الله فيحصل التدخل فى العظة والاعتكاف، ويطارد الدعاة والمبلغون عن الله، فيحرمون من حرية العمل للإسلام، وتستقبلهم السجون والمنافى والمعتقلات -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، وقد حذر الله عز وجل من ذلك فقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٤].

الدعوة إلى الله والطريق الصحيح لها:

وإذا وفق الله طالب العلم وحصَّل ما قلناه من التزود بالعلم والتقوى، واستحضر الذاكرة التاريخية لمسيرة الأمة، وفهم واقعها وما تعانيه من الحملتين الغربية والصهيونية، والحصار

الذى يعانيه الدعاة إلى الله فى كل مكان، والمحاولات الصليبية التى تحاول إخراج الأمة من دينها بتغيير مناهج التعليم، وتبديل وتحريف كلام الله -عز وجل-، إذا أدرك ذلك وفهمه، أحس تبعًا لذلك أن العبء ثقيل، وأن واجب الدعوة وتعليم المسلمين فرض عين، وأنها أمانة ثقيلة فى عنقه لابد أن يشمر لها عن ساعده، ويستفرغ لها جهده، وأنها تقتضى الديمومة والصبر، فقد قال الله لمعلمنا وأسوتنا ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

ولا تتم القدرة على القيام والإنذار إلا إذا اتصف الداعية إلى الله بكمال الخشية، وجعل الوجهة والحركة وكل أمر فى حياته خالصًا لوجه الله؛ امتثالاً لقول الله على لسان المصطفى ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].

ولأجل أن تكون خشية الله فى نفسه وفى حركته هى القائد والموجه؛ فلابد لزينة الحياة وفتنتها من مال وجاه وأولاد أن تكون خلف ظهره، وخارج قلبه، وأن يستكمل الشرط الذى عناه القرآن الكريم فى المبلغين عن الله إذ يقول: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. والذين وصفهم الله -عز وجل- بالمحبين له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

يقول الشيخ رشيد رضا فى تفسير هذه الآية:

وصف الله هؤلاء وصف آخر من المؤمنين بست صفات: الأولى: أنه -تعالى- يحبهم، فالحب من الصفات التى أسندت إلى الله -تعالى- فى كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، فهو تعالى يحب ويبغض كما يليق بشأنه، ولا يشبه حبه حب البشر؛ لأنه لا يشبه البشر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورة: ١١]، وكذلك

علـمه لا يشبه علم البشر ولا قـدرته تشبه قدرتهم. . فمحبته -تعالى- لمستحقيها من عباده شأن من شئونه اللائقة به، لا نبحث عن كنهها وكيـفيتها وحسن الجزاء والمغـفرة والإثابة قد يكون فى آثارها، قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، فجعل اتباع الرسول ﷺ سببًا لمحبة الله -تعالى- للمتبعين وللمغفرة، فكل من المحبة والمغفرة جزاء مستقل؛ إذا العطف يقتضى المغايرة.

«والصفة الثانيـة» أنهم يحبون الله -تعالى-، وحب المؤمنين الصادقين لله -تعالى- ثبت فى آيات غـير هـذه مـن كتاب الله -تعـالى- كـقـوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] وقـوله -تعـالى-: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

وفى حديث أنس المرفوع فى الصحيحين: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فى قلبه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار».

«الصفتان الثالثة والرابعة» الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين، والمروى فى تفسيرهما قوله -تعالى- ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال الزمخشرى: «أذلة: جمع ذليل، وأما ذلول فجمعه ذُلُل (ككتب)، ووجه قوله: «أذلة على المؤمنين» دون «أذلة للمؤمنين» بوجهين: أحدهما: أن يضمن الذل معنى الحنو والعطف، كأنه قال: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع. والثاني: أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم.

(الصفة الخامسة) الجهاد فى سبيل الله، وهو من أخص صفات المؤمنين الصادقين. وأصل الجهاد: احتمال الجهد والمشقة وسبيل الله: طريق الحق والخير الموصلة إلى مرضاة الله -تعالى-، وأعظم الجهاد بذل النفس والمال فى قتال أعداء الحق، وهو أكبر آيات المؤمنين الصادقين.

(الصفة السادسة) كونهم لا يخافون لومة لائم. وجملة هذا الوصف معطوفة على التى قبلها أو مبينة لحال المجاهدين، وفى هذا الوصف تعريض بالمنافقين الذين كانوا يخافون لوم أوليائهم من اليهود إذا هم قاتلوا مع المؤمنين.

والأبلغ أن تكون للوصف المطلق أى: أنهم لتمكنهم فى الدين ورسوخهم فى الإيمان لا يخافون لومةً ما من أفراد اللوم أو أنواعه، من لائم مّا كائنًا من كان؛ لأنهم لا يعملون العمل رغبة فى جزاء أو ثناء من الناس، ولا خوفًا من مكروه يصيبهم منهم فيخافون لوم هذا أو ذاك، وإنما يعملون لإحقاق الحق وإبطال الباطل وتعزيز المعروف وإزالة المنكر؛ ابتغاء مرضاة الله بتزكية أنفسهم وترقيتها(١).

ويقول ابن كثير فى قول الله -عز وجل-: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] أى: لا يردهم عما هم فيه من طاعة الله، وإقامة الحدود، وقتال أعدائه، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لا يردهم عن ذلك رادٌّ، ولا

(١) تفسير المنار: (٢/٤٣٨- ٤٤٠).

يصدهم عنه صادٌّ، ولا يحيك فيهم لوم لائم ولا عـذل عاذل، قـال الإمام أحـمد عن أبى ذر قـال: أمرنى خليلى ﷺ بسـبع: أمرنى بحب المسـاكين والدنو منهم، وأمرنى أن أنظر إلى من هو دونى، ولا أنظر إلى من هو فوقى، وأمرنى أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرنى أن لا أسـأل أحدًا شيئًا، وأمـرنى أن أقول الحق وإن كان مـرًا، وأمرنى أن لا أخاف فى الله لومـة لائم، وأمرنى أن أكثـر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فـإنها من كنز تحت العرش، وقال الإمام أحمد -أيضًا- عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقـرب من أجل ولا يباعد من رزق، أن يقول بحق أو أن يذكر بعظيم»**.[1] تفرد به أحمد.

وسبيل البلاغ للدعوة والتعليم الحكمة:

وعلى طالب العلم أن يتوخى الحكمة فى دعوته إلى الله بأن يكون عـارفًـا أحـوال من يدعـوهم، مـدركًـا بالأولويات التى يحتـاجون إليـها؛ حتى تصل دعـوته إلى قلوب من يتلقـونها،

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٩٥، ٥٩٦)، ط: دار الأندلس بيروت.

فيستجيبون لها مصداقًا لقول ربنا: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وفى الأثر: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم اتحبون أن يكذب الله ورسوله»، وفى معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

قال ابن عباس: «الربانى: هو الذى يعلم بصغار العلم قبل كباره».

قال مالك -فى معنى الحكمة-: «وإنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هى الفقة فى دين الله، وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً فى أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفًا فى أمر دنياه عالمًا بأمر دينه بصيرًا به، يؤتيه الله إياه ويحرمه هذا، فالحكمة: الفقه فى دين الله».

وقال السدى: «الحكمة النبوة»، والصحيح أن الحكمة كما قاله الجمهور: لا تختص بالنبوة، بل هى أعم منها، وأعلاها النبوة والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء فى بعض الأحاديث: «من حفظ القرآن

فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه» رواه وكيع بن الجراح فى تفسيره، وروى البخارى عن أسماعيل بن أبى خالد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا حسد إلا فى اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمه فهو يقضى بها ويعلمها**»[1].

وقال الإمام محمد عبده: الحكمة هنا: هى العلم الصحيح يكون صفة محكمة فى النفس، حاكمة على الإرادة توجهها إلى العمل، ومتى كان العمل صادراً عن العلم الصحيح كان هو العمل الصالح النافع المؤدى للسعادة»[2].

ومن الحكمة أن يكون رفيقًا بالناس؛ اقتداء بالمعلم الأول ﷺ وصبره على جفاء الأعراب، وأمره أصحابه ألا يقطعوا على الرجل بوله حينما بال فى المسجد، وأمره لنا بالرفق فى الأمور كلها وقوله: «**إن الله يحب الرفق فى الأمر كله**»[3]، «**وإن الرفق لا يكون فى شىء إلا ذانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه**»[4]، وأمر الله -عز وجل- لسيدنا موسى وأخيه هارون

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٧١، ٥٧٢).
(٢) تفسير المنار: (٣/ ٧٥).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه مسلم.

-عليهما السلام- حينما أرسلها إلى فرعون باستعمال اللين: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وعليه أن يتعهد الناس ويرعاهم ويتفقدهم ويشاركهم السراء والضراء؛ ليجعل منهم أمة تتعاون على البر والتقوى، وأمة تحيا بنور الإيمان على حد قول الله -عز وجل-: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وعليه أن يتذكر دائمًا ما وصف الله به رسول الله وصحابته وفي آخر سورة الفتح بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وإذا اجتمعت لطالب العلم هذه الصفات كلها -من حيث التزود، والتخلق، والبلاغ، والدعوة إلى الله- فعليه أن يكون له فى الصالحين والأئمة المهتدين والعلماء العاملين نعم الأسوة، والاستفادة من خبرتهم وتجاربهم وهم -والحمد لله- منارات يقتدى بهم وتلتمس الحكمة فى أفعالهم والصدق والصبر والتجرد فى أعمالهم.. وحينذاك يصدق فيه خطبة الإمام أحمد بن حنبل حين قال فى خطبته المشهورة فى كتابه الرد على الزنادقة والجهميه: «الحمد لله الذى جعل فى كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوهُ، وكم من ضال تائه فأهدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[(١)].

(١) اعلام الموقعين: (١/ ٩) ط دار مصر.

شهادة الأمة على الناس:

وعلى الأمة أن يحس كل فرد منها بمسؤليته، فعليه أن يبادر إلى طلب العلم؛ فقد قال ﷺ: «طلب العلم فريضة» وقال الإمام البخارى: العلم قبل القول، والعمل قبل النيه؛ فإنه مصحح لها. قال الله -عز وجل-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد:١٩]، فيعلم ما تصح به عقيدته مما بينه القرآن وما بينته السنه، ويعرف أركان دينه، والحلال والحرام، ويتحلى بالأخلاق الحسنة، فقد بُعث رسولنا ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، ويرعى كل من حوله بدأ بأسرته وأولاده وجيرانه وإخوانه وأصدقائه امتثالاً لقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]

وقول النبى ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته، فالرجل راع فى بيته وهو مسؤول عن رعيته.....الخ».

وأن يعلم أنه مـأمور بأن يعتـصـم بحبل الله ويتـواثق به، وأن ولاية النصرة بينه وبين إخوانه المؤمنين واجبة امتثالاً لقول الله -عز وجل-: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وليكن رائده في حياته إقامة دين الله في نفسه وفيمن حوله، فكل شيء يمكنك الله فيه فاعرف ما يرضى الله فيه، ولتتذكر قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، كما يجب أن تحرص على الوصول إلى درجة الإحسان في كل شيء في عباداتك ومعاملاتك. فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وأن تكون مسارعًا مبادرًا للخيرات فالله يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ : ١٣٤].

وأعلم أنك لن تحوز درجة الشهادة على الناس التى جعل الله هذه الأمة قائمة بها بعد أن شهد بها علينا رسول الله ﷺ إلا بالعلم والتبيين، وأن تكون مثالاً حياً لهذا الإسلام، وأن تكون مرجعيتك فى كل شىء القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.. وأن تعلم -كما قال الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله- أنك على ثغرة من ثغرات الإسلام، فلا يؤتين من قبلك..

هدانا الله وإياك الصراط المستقيم، ووفقنا وإياك للعمل الصالح، وأخذ بيدنا ويد أمتنا لما فيه الخير والرشاد والعزة والتمكين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****